المحاضرة -13-

الأدب الاستعجالي رواية الازمة المكتوبة بالفرنسية

ـ من أهم مميزات الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية في السبعينات والثمانينات أنها حاربت الظواهر التي شوهت المجتمع مثلا للانتهازية والرشوة والجهوية ، وقد تميزت كذالك بسمة الايديولوجية حيث دافع كل كاتب عن آرائه ومبادئه

تميزت رواية التسعينات ببروز الخطاب السياسي في جل الكتابات الروائية المكتوبة بالفرنسية و أصبحت مجالا للصراع بين التيارات المختلفة التي اثرت على المجتمع وبينت ما أصبحت عليه الأوضاع في الجزائر بعد مظاهرات 1988 الانتفاضة الشعبية العارمة وما تبعها من أحداث وتغيرات ادت الى صدام عنيف بين السلطة والتيار الاسلامي

واكبت الرواية هذه الاحداث وسجلتها منها رواية 'شرف القبيلة ' ل(رشيد بوجدرة) ورواية 'اللعنة'1993 التي صورت اعتصام الاسلاميين في ساحة اول ماي سنة 1991 واستلائهم على قسم الاستعجالات في مستشفى مصطفى باشا بعد مواجهات مع الامن ـ عرفت هذه الرواية وما جاء بعدها برواية المحنة ـ أو الأدب الاستعجالي بسبب مسارعة أغلب الكتاب في هذه الفترة الى تبسيط تقنيات السرد و تسجيل الفجائع المهولة المتسارعة .

لذا جاءت بعض اأعمال أقرب الى التصوير الفوتوغرافي والتحقيقات الصحفية منها الى الكتابة الراقية ، ولكنها عكست طابع الأزمة التي ألمت بالمجتمع وعايشت الأحداث الدموية لعشرية كاملة .

حاولت الرواية المكتوبة بالفرنسية تشخيص أصول الداء من خلال وصفها لأهوال المحنة التي ألمت بالشعب وزعزعت الدولة ، حيث كان هذا النوع من الأدب هو صوت الشارع الغارق في الدماء لأن ما كتبه الروائي هو نقل لمعاناة الشعب وإسماع لصوته .

جاءت الكثير من النصوص حاملة لتجربة اجتماعية مرتبطة بالفاجعة التي ألمت بالجزائر عالجت موضوعات الموت, الحياة, الانتماء, الوطنية, الدين ....

ونشعر أن ما وقع في الجزائر دفع الكتاب دفعا للتعبير عن هذا الواقع المأساوي ، لأنها المجال الأوحد الذي يمكنهم من التعبير عن آلامهم وأحزان مجتمعهم في محاولة لفهم الواقع و البحث عن الحقيقة وفق رؤى متعددة وأحيانا متناقضة

اذن موضوع الرواية التسعينية المكتوبة بالفرنسية كان يدور حول الأهوال و الفجائع التي أغرقت المجتمع وجعلت الرواية تعبر عن تجربة العنف ـ كانت الاشارة الى ظاهرة العنف تبدو غير معلنة ويلمح لها فقط مثل العنف بين الظاهرة الاشتراكية وأصحاب الفكر الاخواني، ولكن اشكال العنف ظهرت بقوة في رواية التسعينات لأن الرواية ترتبط بمضمونها الفكري وموضوعها لما يجري في المجتمع ـ ولذا أصبح الكاتب مستهدفا من طرف الجماعات المسلحة التي اغتالت الكثير من المثقفين ـ

اختلفت معالجة هؤلاء الكتاب للقضايا فكان كل أديب يعالج القضية حسب قناعاته لشخصية و يقدم الوقائع بطريقة خاصة به فكان البطل يمثل الانسان الجديد الذي يواجه التناقضات ولديه وعي عميق ويحاول الاجابة عن اأسئلة غاية في الأهمية مرتبطة بوجوده و حياته وسط الأزمة التي يعيشها .

حيث لم تعد الرواية تؤرخ للمناضل الثائر خلال الثورة أو العامل المقهور لدى المستعمر أو الفلاح أيام الثورة الزراعية ....نجد اذن أن موضوع الروايات المكتوبة بالفرنسية يحيل الى طبيعة مايجري في المجتمع الجزائري مثل رواية 'تيميمون ' ك ب ف 1984 ل (رشيد بوجدرة) و رواية 'بماذا تحلم الذئاب ' و رواية ' خرفان المولى ' ل (ياسمينة خضراء) .

ورغم أن هذه الروايات ألقت الضوء على أحداث الأزمة وكانت الأولوية للمضمون على حساب البناء الفني ولكنها أعطت رؤية جديدة خلفتها تلك المرحلة .

ـ كان القاموس اللغوي لرواية المحنة المكتوبة بالفرنسية يمتلأ بمفردات الدمار و القتل والموت كما تنبأت بما سيؤول اليه التطرف وتيارات الأصولية وكشفت تخلخلها أمام صمود الشعب ، ومواجهة المؤسسات الأمنية للدولة لها.

ـ دخل المد الاسلامي المعترك السياسي بقوة وكانت الأعمال المكتوبة بالفرنسية تنتقد هذا المد نقدا لاذعا ، وتصوره في شكل خطر سياسي واجتماعي داهم يهدد الديمقراطية والحريات العامة ومن ثم تدعو وبشكل صريح و مباشر الى التصدي له بكل الوسائل .

حاولت هذه الرواية اعادة انتاج الواقع ومحاولة عرض نماذج بشرية حولتها الظروف الى آلات بلا ضمائر تحترف البطش والتنكيل كما حاولت التعبير عن نوازع الضحية العميقة وهي تواجه الموت المجاني بيد اخوان يتقاسمون معهم الأرض و التاريخ والدين وكان الضحايا

يشعرون بالخطر ، الأمر الذي يجعل الروائي مشحون بالتوترات النفسية للحالة التي تلتمس مواطن الضعف واليأس ...

وأحيانا نجد السارد يحكي دون أن يحدد بؤرة الخطاب وذالك لضبابية الرؤية ، ستحاول التمثيل بروايات تبنت الموضوعية ولو نسبيا ، حيث جاءت الشخصيات مبلورة لنهاياتها واستجابة لواقع بداياتها من حيث ترقب أثر الاجتماعي والسياسي والاقتصادي في انتاج ظاهرة العنف والزج بالجزائر في تلك الدوامة الجهنمية ، مثل أعمال ياسمينة خضراء .

الروائي (ياسمينة خضراء) أفاد من في بناء مخيلته من تجربته العسكرية الطويلة في مواجهة الارهاب ، نجده في رواية ' بما تحلم الذئاب ' يتخذ من الفضاء الحضري للجزائر العاصمة خلفية لتنامي الحدث الدرامي منى خلال وجهة نظرا لشخصية المحورية ' نانا وليد' الذي تتقاطع خيباته المتوالية مع خيبة شرائح عريضة من الشباب الجزائري الأمر الذي يقوده الى اعتناق الايديولوجية الاسلاماوية التي تحاصر بيته العائلي با'لقصبة ' ، ؟أين تنمو هذه ا؟لأخيرة و تنتشر في اوساط الطبقة المحرومة التي ترضخ طائعة لخطابها الذي يحسن استغلال مرارة واقعها ، يتميز الكاتب في وصف الفضاء الشعبي 'للقصبة ' بكل ما يعتمل فيه من تيارات و أفكار ويستمع الى الهمس الجاري بين الجدران الآيلة للسقوط وبين رواد المقاهي الشعبية ويلتقط صوت الموت المرتقب والخطر المتوقع يقول : كانت العاصمة مريضة تتخبط في الفضلات النتنة ، تتقيأ ، تتخبط بلا توقف وجماهيرها تهجم من الأحياء الخلفية في فورات صاخبة ، و النمل يقفز في المجاري متأججا في الشوارع المصهدة بشمس صاخبة ، كانت العاصمة متشبثة بدلالها مشمرة فستانها عن عورتها المتألقة .... وبينما يحبس الشعب أنفاسه أمام الوحش الزاني بالمحارم الذي كانت بصدد وضعه للعالم.

تلد العاصمة في الألم و الغثيان ، و في الفظاعة طبعا بعضها بشعارات الأصوليين المتبخترين في الشوارع بخطى منتصرة انها لحظات يتفوق فيها الدراويش على الشياطين والشمس المحرقة تستوحي نيران الجحيم لتذيب الأرواح ، و الناس في غفلتهم يتقمصون مهرجان المعذبين '

في هذا الفضاء الجحيمي الحابل بالرعب والهمجية يتحرك ' نافا وليد ' وتتحرك معه زاوية الرؤية واصفة تفاصيل المشهد المكاني لألوانه و رائحته وتفاصيله الصغيرة الناطقة بالخطاب الأصولي المتكن في تفاصيل المدينة المريضة بأبنائها و هم يخرجون من جلدهم الانساني ليرتدوا لبوس أبالسة الجحيم .

على النقيض من ذالك نجد الأحياء العاصمية الراقية تقف بكبرياء تتجلى في عنجهية قصورها المزورة عن الواقع المريض ، توغل في اللذة والإثراء الفاحش المشبوه ندخلها بصحبة الشخصية الرئيسية وهي تشتغل سائقا عند عائلة 'راجا' لنتعرف على ألوان من الرفاهية والبذخ الذي يصعب تصوره بالقياس الى الواقع البئيس الذي تعرفنا عليه سابقا ، هناك تشكيلات أخرى لفضاء 'القصبة ' و الأحياء القصديرية على أطراف العاصمة .

يضعنا النص وفق تقنية التقاطعات في مواجهة عالمين يحملها التناقض والتقابل بين فضائيهما على الاصطدام الأكيد اصطدام الحرمان بالوفرة و الفقر بالثراء الفاحش ، الخيبة العميقة من البلاد و العباد بالاستغلال الوقح لخيرات البلاد من طرف قلة محظوظة مما يجعل اتجاه' نافا وليد' وهو يخرج من قصر 'راجا' مذموما مدحورا مندفعا الى حمل السلاح منسجما تمام الانسجام مع ا لمقدمات السوسيو اقتصادية التي أسس بها الكاتب فكرته .

هذا الفضاء الحضري للجزائر العاصمة هو الذي تحركت فيه الأحداث الروائية في النص كله باستثناء بعض فضاءات الغابات و الجبال التي عبرتها الشخصية في رحلتها مع الجماعات المسلحة .

رواية 'خراف المولى ' هي الأخرى خاضعة لنفس السيرورة بحا عن عن جذور الأزمة وفق نسق يعتمد البحث عن العوامل السيكولوجية ولكن الفضاء مختلف فالفضاء هنا فضاء/ قروي /فلاحي / في احدى قرى الغرب الجزائري وهو الفضاء الذي تتحرك فيه الشخصيات .

نجد الروائي يبحث عن الخلفيات التاريخية والإرث العائلي الذي يمثل المحرك الجوهري في نزوع الشخصيات الى الانتقام الذي كان الوازع الأساسي في كثير من الجرائم التي اتخذت ذريعة الدين مبررا لوحشيتها المعلنة حيث يكفي التصنت لتلك الشخوص لنكتشف الآلية التي حكمت تصرفها لأنها ضمتى مختلف الانتماءات المشكلة للمجتمع الجزائري الرازح تحت وطأة الحكام المسبقة الموروثة منذ عهد الاستعمار.

ـ شخصية 'قادة هلال ' مدرس ابتدائي سليل أحد القياد في العهد الاستعماري يتطوع بعد أن رفضت حبه جميلة القرية 'سارة' ابنة رئيس البلدية الفاسد للجهاد في 'افغانستان' طلبا لنسين حبيبته التي تقع في حب 'علال سيدهم' تاشرطي الفقير والابن البار لقرية 'غاشيما' ، أما الشيخ 'عباس' فهو الزعيم الروحي للأصوليين جاهل و صلب و عنيد سجن عدة مرات ، و 'عيسى عصمان ' الذليل الذي أهين كثيرا لماضيه الكريه أثناء الثورة والذي يستعيد قيمتهبعد مبايعة ابنه ' تاج علمان' أميرا للجماعة المسلحة بنواحي 'غاشيما' حيث ينتقم من العار الذي طال أبواه

بالانتقام من أهل القرية ، وشخصية ' ران ' القزم الذي يستغل شفقة الجميع عليه ليتجسس عليهم لصالح الجماعات المسلحة التي قتلت أكثر من واحد بوحي من ارشداته و أمام مايحدث من رعب يجمع ثروة طائلة .

اذن علاقات التوتر والحقد والكراهية بين هذه النماذج التي اعتمدها النص تبدو مبررا كافيا لأصناف العنف الدموي .قدم ا؟لأزمة و لم يحصرها في الجانب السياسي على الرغم من مركزية الحدث السياسي .

هذه بعض النماذج للرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية توضح لنا أسباب ومظاهرالمحنة كما رآها هؤلاء الروائيون

الهدف العام من المحاضرة

التعرف على أدب الأزمة المكتوب بالفرنسية

الاطلاع عل طريقة تصوير الروائيين الذين يكتبون بالفرنسية للأزمة.

المراجع :

- ترجمة العناصر الثقافية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية رواية بماذا تحلم الذئاب نموذجا مذكرة ماجيستير جامعة وهران 1 أحمد بن بلة قسم الترجمة حفيظة بلقاسمي 2015-2016

-نصوص روايات الأزمة المكتوبة بالفرنسية : نصوص ياسمينة خضراء ،نصوص رشيد بوجدرة.....

انشطة التقويم :

اسئلة حول الأفكار الرئيسية للمحاضرة

كتابة مقال حول خصائص كتابة المحنة لدى الروائيين الذين يكتبون بالفرنسية